الأسبوع العاشر : أشهر قصائد لبيد

يمكن أن نقسم شعر لبيد إلى قسمين جاهلي وإسلامي أما الجاهلي يمضي مفاخرا بقومه وأقرباء أسرته ومن ثم وقف مع ابن عمه عامر بن الطفيل ضد علقمة بن علاثة حين تفاخرا إلى هرم بن قطبة الفزاري، وكيف كانت شجاعة قومه وكيف كان يسقي الخمر وكيف كان يقامر من ليطعم قومه والمحروم وإذا أراد أن ينظم شعرا يضع له مقدمات ثم يبدأ بما يريد من شعر على نحو ما صنع بمعلقته إذ بدأها بذكر الديار وذكر الأحبة الظاعنين ثم يمضى يصف اقتحامه للصحراء على ناقته وسرعان ما شبهها بأتان وحشية واسترسل في الحديث عنها وعن حمار كان يصاحبها ويلاعبها وخرج من ذلك إلى تشبيهه لها ببقرة وحشية مذعورة لفقد طفلها ويسترسل في وصف تعقب الرماة لها وإرسالهم جوارح الكلاب عليها ويخلص إلى الفخر بكرمه وبسالته ومنادمته لرفاقه ويفخر بقومه وكثرة سادتهم وما سنه لهم آباؤهم ويقول :

إنا إذا التقت المجامع لم يزل ٠٠٠٠٠٠منا لزازُ عظيمة جشامها

ومقسمٌ يعطي العشيرةَ حقها ٠٠٠٠٠٠٠ومغذمرٌ لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الرَدَى ٠٠٠٠٠سمحٌ كسوبٌ رغائبٌ غنامها

من معشرٍ سنتْ لهم آباؤهم ٠٠٠٠٠٠٠ولكلِ قومٍ سُنَّةٌ وإمامُها

فبنو لنا بيتا رفيعاً سَمكهُ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠فسما عليه كهلها وغِلامها

فاقنع بما قسمَ المليكُ فإنما ٠٠٠٠٠٠٠٠قسمَ الخلائق بيننا علامُها

معاني الأبيات

ألزاز : الملازم للشيء – جشامها : من التجشم وهو ركوب الخطر ---- مغذمر :أي لا يعطي ٠٠٠٠هضامها : يعطي قوما ويحرم آخرين

وشعره الجاهلي على هذه الوتيرة من الحديث عن مناقب آباءه ومفاخره ووصف راحلته وتشريبها بالأتان المتوجسة والبقرة ألهسبوعة أو النعامة الخائفة وقد يتحدث عن المطر وهو في ذالك يتميز بالإغراب الشديد في لفظه حتى يلتمس قارئه شيء من الضجر لكثرة ما يورد من أوابد الألفلظ وحوشيها واقرأ ما لم نروه من المعلقة قبل هذه الأبيات التي أنشدها فإنك ستجده مفرغا في ألفاظ متناهية في وغريبة ومن ثم وصف شعره أبو عمر بن العلاء فقال إنه رحى برز يريد أنه خشن لا يحسن في السمع وقال الأصمعي:شعر لبيد كأنه طيلسان طبراني أي محكم الصنعة ولا رونق له

---- أما شعره الإسلامي وجدنا قراءته للقرآن الكريم تهذب من لفظه وتدخل عليه غير قليل من الطلاوة ومن ثم يقول فيه ابن سلام "كان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام وكان مسلما رجل صدق "٠٠ويتضح ذلك من مراثيه المشهورة لأخيه أربد فإن ألفاظها ماء ورونقا وفي معانيها من الإسلام أصداء وظلالا وارجع إلى عينيه فستجد جمال السبك والصياغة وستجد الروح الإسلامية ماثلة في تضاعيف أبياتها على شاكلة قوله

بلَينا وما تبلى النجوم الطوالعُ ٠٠٠وتبقى الجبال بعدنا والمصانعُ

فلا جزيعٌ إن فرق الدهر بيننا٠٠٠وكل فتى يوما به الدهر فاجعُ

وما النَاسُ إلا كالديار وأهلها ٠٠٠بها يوم حَلوها وغدوٌ بلاقعُ

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه ٠٠٠٠يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وما البر إلا مُضمراتٌ من التقى ٠٠٠وما المال إلا عاريات ودائعُ

وما المال والأهلون الا وديعةٌ ٠٠٠ولا بد يوما ان ترد الودائعُ

معاني الأبيات –المصانع :الأبنية الضخمة ---بلاقع :جمع بلقع وهي الأرض القفر ٠٠٠وغدو : أي غدا٠٠يحور : أي يصير

ومن قصائده الأخرى نجد فيها الوجل والزهد

قوله

إنما يحفظ التقى الأبرار ٠٠٠٠وإلى الله يستقر القرار

وإلى الله ترجعون وعند الله ٠٠٠٠ورد الأمور والإصدار

وكل شيء أحصى كتابا وعلما ٠٠٠ولديه تجلت الأسرار

إن يكن في الحياة خير فقد٠٠٠٠ أنظرت لو كان ينفع الأنظار

عشت دهرا ولا يدوم على الأيام٠٠٠٠ إلا يرمرم وتعار

معاني الأبيات – الأنظار :التأخير --- يرمرم :جبلان في نجد

وعلى نحو هذا نرى في لاميته يذكرنا بالآخرة والحساب وأن الدنيا فانية وفيها يقول

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ٠٠٠وكل نعيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ٠٠٠دويهية تصفر منها الأنامل

معاني الأبيات ٠٠٠الدويهية :الموت

وهو هنا يستمد من البيت الأول قوله تعالى "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " ويستمد من البيت الثاني من مثل قوله تعالى "كل نفس ذائقة الموت "٠